الملتقى الوطني: الجغرافيا الدينية وأثرها في العلاقات الجيواستراتيجية بين الشرق والغرب فلسطين أنموذجا
"Religious Geography and Its Impact on Geostrategic Relations Between East and West: Palestine as a Case Study"

القدس في المنظور الديني

قراءة في تقاطع المقدس بين اليهودية والمسيحية والإسلام

"Jerusalem in the Religious Perspective: A Study of the Intersection of the Sacred in Judaism, Christianity, and Islam"

أد. أحلام بلعطار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

المحور الثاني

ملخص:

القدس تعد مدينة مقدسة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ولكل ديانة تصورها الخاص لقداستها، ففي اليهودية ترتبط بالهيكل والعودة، وفي المسيحية هي مسرح الفداء والقيامة، أما في الإسلام فتمثل موقع الإسراء والمعراج ورباطا روحيا دائما، ورغم هذا الاشتراك فإن اختلاف المرجعيات أدى إلى تصورات متباينة، جعلت من القدس مركزا للقداسة وأحيانا للصراع، ما يستدعي اليوم مقاربة دينية وإنسانية تعترف بتعدد رواياتها.قد خلصت الدراسة إلى أن القدس تمثل نقطة التقاء روحية فريدة بين الديانات السماوية الثلاث، وأن البعد الديني يؤثر بشكل عميق في تشكيل المواقف السياسية للأطراف المتنازعة، كما أن تحقيق التعايش الديني السلمي يتطلب فهما عميقا للخصوصية الدينية لكل طرف مع ضمان حق الجميع في ممارسة شعائرهم الدينية في المدينة المقدسة.

الكلمات المفتاحية: القدس– الإسلام – اليهودية– المسيحية – الديانات السماوية

Abstract:

Jerusalem holds sacred significance in Judaism, Christianity, and Islam, each with distinct religious interpretations. While this shared reverence creates a spiritual connection, differing theological perspectives have also led to conflict. The study highlights Jerusalem as a unique meeting point for the three Abrahamic faiths and emphasizes that peaceful coexistence requires mutual understanding and respect for each religion's sacred ties to the city

Keywords: Jerusalem – Islam – Judaism – Christianity – Abrahamic Religions

مقدمة

تمثل القدس في الوعي الروحي للديانات الإبراهيمية (اليهودية، المسيحية، والإسلام) مركزا للقداسة والرمزية، فهي نقطة التقاء تنبثق منها أشعة المعنى والغاية، وقبلة للقلوب المتعطشة إلى المعرفة العليا، وملتقى لأرواح الساعين إلى الحقيقة المتسامية. في فضائها المقدس، تتلاشى الفواصل بين عالم الغيب والشهادة، فتغدو رمزا للعروج الروحي، ولتجاوز المحسوس نحو آفاق المعقول والمتعالي، مجسدة في ذاتها جدلية العلاقة بين المتعالي والمتجسد، والمطلق والنسبي، ضمن تناغم روحي يتردد صداه في وجدان أتباع الديانات الثلاث.

ولا تختزل القدس في بعدها الجغرافي أو الحضاري، بل تكتسب مكانتها من كونها فضاء عقديا تتقاطع فيه تصورات دينية وتاريخية عبرت الأزمنة وتجاوزت الحدود. فهي عند اليهود "مدينة داوود" ومقر الهيكل المزعوم، وعند المسيحيين مهد السيد المسيح ومسرح آلامه وقيامته، أما في الإسلام، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي محمد ﷺ في معجزة الإسراء والمعراج. وقد منحت هذه الخصوصية الاستثنائية القدس مقاما محوريا تتبلور فيه شعائر العبادة وتجليات الروحانية بأسمى صورها عبر الديانات السماوية الثلاث، لتصير مرآة تعكس جوهر الممارسات الإيمانية وعمق الاختبارات الروحية للمؤمنين على اختلاف مشاربهم.

غير أن هذا الاشتراك في قداستها لم يكن دوما مصدرا للوئام والتفاهم، بل تحول في كثير من الأحيان إلى بؤرة صراع، نتيجة التباين في المرجعيات العقدية، وتعدد التوظيفات الدينية والسياسية للمدينة، ومن هنا تبرز أهمية تناول "القدس في المنظور الديني" كقضية معرفية وثقافية تستحق البحث، لما تحمله من أبعاد رمزية وروحية، وما تفتحه من آفاق لفهم العلاقة المركبة بين الدين والتاريخ والهوية.

ويندرج هذا الموضوع في صميم إشكالية هذا الملتقى، الذي يعالج أثر الجغرافية الدينية في العلاقات الجيواستراتيجية بين الشرق والغرب، حيث تمثل القدس وفلسطين أنموذجا لتقاطع الدين مع الجغرافيا، والمقدس مع الجيوسياسي، ما يجعل من دراستها مدخلا حيويا لفهم بنية الصراعات الحضارية ومآلاتها.

وفي هذا المضمار، ينطلق هذا البحث من إشكالية تتمحور حول :كيف تتقاطع وتختلف دلالات القدس في الرؤى الدينية الثلاث؟ وما أثر ذلك في تشكيل الوعي الديني والهوية السياسية لكل طرف؟ ويهدف إلى تحليل الجذور العقدية والتاريخية لهذا التقديس المتعدد، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الأديان، مع تتبع أثر هذه الرؤى في الصراع الجيوثقافي والديني المعاصر.

وقد اعتمدنا في هذا السياق على منهج تحليلي مقارن بين النصوص والرؤى اللاهوتية المختلفة، إلى جانب المنهج التاريخي لتتبع تطور المفاهيم والمواقف المرتبطة بالقدس في السياق الديني والسياسي.

أما من حيث الدراسات السابقة، فقد تنوعت بين أبحاث تناولت كل دين على حدة، وأخرى ركزت على البعد السياسي للصراع، لكنها غالبا ما أغفلت المقاربة المقارنة التي تكشف أوجه التلاقي والتنافر في تصورات القدس داخل الأديان الإبراهيمية. ويسعى هذا البحث إلى سد هذا الفراغ من خلال تقديم قراءة متكاملة تربط بين البعد الديني والامتداد الجيواستراتيجي للمدينة، في ضوء تفاعلات الشرق والغرب حولها.

وتتبلور هذه الرؤى ضمن المنهجية المرسومة الآتية:

مقدمة

1. البعد المقدس للقدس في اليهودية.
2. القدس في اللاهوت المسيحي
3. البعد المقدس للقدس في الإسلام
4. تقاطع المقدس واختلاف المرجعيات

خاتمة

1.البعد المقدس للقدس في اليهودية

إن دراسة البعد المقدس للقدس في اليهودية تقتضي الوقوف عند الأسس النصوصية والتاريخية التي أسست لقداستها، وتحليل تحولات هذه المكانة عبر العصور، وخصوصا في السياقات المعاصرة التي أعيد فيها توظيف الرمزية الدينية في الخطاب الصهيوني والمشروع السياسي الإسرائيلي.

1.1 جذور التقديس في العهد القديم

تحظى القدس بمكانة محورية في التكوين العقدي والتاريخي لليهودية، حيث تعرف باسم "أورشليم" (Yerushalayim)، وتعد المدينة التي اختارها الرب ليحل فيها اسمه، كما ورد في التوراة: **"إلى المكان الذي يختاره الرب إلهكم ليحل اسمه فيه من جميع أسباطكم، تذهبون إلى هناك وتُقربون محرقاتكم وذبائحكم"** (التثنية 12:11). يدل هذا النص على أن اختيار المكان لم يكن عشوائيا، بل كان تعبيرا عن إرادة إلهية جعلت من المدينة مقصدا للعبادة القربانية والحج، ومثالا للارتباط بين السماء والأرض في الوعي الديني اليهودي.

وقد تأسست جذور هذا التقديس بشكل خاص في تصور الهيكل الذي شيده الملك سليمان في قلب المدينة (حوالي القرن العاشر قبل الميلاد)، والذي اعتبر "بيت الرب" ومحل سكينته، أي حضوره الإلهي. وكان الهيكل، كما تشير نصوص العهد القديم، محورا للتنظيم الديني والاجتماعي والسياسي في مملكة يهوذا، حيث جرت فيه الطقوس الكبرى وممارسة الكهانة، وكانت القدس تعد المركز الروحي الأسمى بلا منازع.(Levenson, 1985, p. 21) ومن المزامير، نجد نصا دالا على هذا الاصطفاء: **"الرب اختار صهيون، اشتهاها مسكنا له"** (مزمور 132:13)، مما رسخ فكرة أن القدس ليست مجرد مدينة، بل مقر الإله وموضع اختياره.

غير أن هذا الهيكل الأول لم يدم طويلا، إذ دمر على يد "نبوخذنصر" البابلي سنة 586 قبل الميلاد، ما أدى إلى سبي اليهود إلى بابل، وظهور مفهوم "الشتات"، الذي سيغدو عنصرا تأسيسيا في الهوية اليهودية لاحقا. وقد أحدث هذا التدمير صدمة روحية عميقة لا تزال حاضرة إلى اليوم، وتستعاد في طقوس الحزن مثل صوم التاسع من آب، كما خلدها العهد القديم بأناشيد الحنين إلى القدس: **"إذا نسيتك يا أورشليم، فلتنس يميني"** (مزمور 137:5) (السعدي، 2004، ص 57).

ومع تدمير الهيكل الثاني عام 70 ميلادية على يد الرومان، بدأ تحول تدريجي في بنية التدين اليهودي، إذ انتقلت مركزية العبادة من المكان إلى النص، فأصبحت التوراة وتفاسير الحاخامات هي المرجع الأساسي، بدل الطقوس القربانية في الهيكل. غير أن هذا التحول لم يلغ مكانة القدس الرمزية، بل عمقها، فصارت المدينة تمثل في اللاهوت

اليهودي مركزا للخلاص المرتقب، والمكان الذي سيعود إليه الماشيح (المسيح المنتظر) ليبني الهيكل الثالث ويدشن عصر السلام الإلهي. (Schwartz, 2019, p. 88) ؛ (إسماعيل، 2009، ص 91).

وقد شكلت هذه الرمزية خلفية لظهور الصهيونية الدينية الحديثة، حيث أعيد تفعيل البعد الديني للقدس في المشروع القومي اليهودي، كما عبر عن ذلك تيودور هرتزل بقوله: **"إذا أردنا أن نستعيد أرض الآباء، فيجب أن تكون أورشليم قلبها"**. ويرى غورنبرغ أن هذا التصور كان له دور فاعل في تشكيل الوعي الصهيوني الحديث، الذي لم يقتصر على المطالب السياسية، بل جعل من القدس رمزا لاستعادة الهوية المقدسة . (Gorenberg, 2000, pp. 45–46)؛ (العتوم، 2012، ص 48).

وقد تعززت هذه الرؤية في الأدبيات التلمودية والحاخامية، حيث وصفت القدس بأنها "نقطة مركزية لخلق العالم"، و"بوابة السماء"، و"أقرب نقطة إلى الرب"، كما اعبر أن الصلاة في القدس لا ترد، مما جعلها حاضرة في الحياة اليومية لليهود، سواء عبر الصلوات اليومية، أو التوجه نحوها في السجود، أو التوق الروحي المتواصل للعودة إليها (Elon, 2007, pp. 132–133).

وهكذا، تبرز القدس في الرؤية اليهودية كرمز مركزي جامع لأبعاد متعددة: هي مدينة الرب، ومكان التجلي، ومسرح الوعد، ومركز الخلاص، وقد تراكبت هذه الأبعاد الدينية مع الطموحات السياسية في العصر الحديث، لتنتج ما يمكن وصفه بـ "اللاهوت الجيوسياسي"، حيث تتقاطع الرمزية الروحية للمدينة مع مشاريع الهيمنة والاستيطان.

2.1 الهيكل وسردية "جبل صهيون"

يشير عبد الوهاب المسيري في "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" إلى أن "صهيون" في التراث الديني اليهودي ترمز إلى جبل صهيون والقدس، بل إلى الأرض المقدسة ككل .ويستخدم المصطلح للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية، مثل "بنت صهيون." (المسيري، 1999، 6/ 14)، ويقصد بـ "سردية جبل صهيون "هو ذلك الخطاب الديني والتاريخي والرمزي الذي تشكل حول "جبل صهيون" وجعله مركزا للقداسة، وللتجلي الإلهي، ولهوية الشعب اليهودي، وفهم علاقتهم بالأرض والمستقبل.

ويمثل جبل صهيون في الوعي الديني اليهودي أكثر من مجرد موقع جغرافي؛ فهو رمز مركزي يتداخل فيه التاريخ بالأسطورة، والسياسة بالعقيدة، ليكون نواة "القداسة المكانية" التي تدور حولها سردية الهيكل وشرعية الوجود اليهودي في الأرض المقدسة. وقد ارتبط "جبل صهيون" ارتباطا وثيقا بفكرة الهيكل، لكونه التل الذي اختاره

داوود ليكون عاصمة لمملكته، والذي أقيم عليه لاحقا هيكل سليمان، فغدا في المخيال اليهودي موضع الحضور الإلهي ومقر العهد بين الله وشعبه.

ويرى المؤرخ "ليفنسون" إن جبل صهيون يكتسب مكانته المقدسة في النصوص التوراتية من كونه المكان الذي "**اختاره الرب ليسكن فيه اسمه**" (مزمور 132:13)، والمكان الذي ينسب إليه النصر والبركة والحماية الإلهية، كما في قول النص: " **من صهيون كمال الجمال أشرق الله**" (مزمور 50:2). ويفهم من هذا البعد أن صهيون ليست مجرد مكان مقدس، بل تمثل مركزا لاهوتيا يجمع بين الحضور الإلهي والاصطفاء القومي، حيث ينظر إلى أورشليم بوصفها "**عروس الرب**" و"**كرسي الملكوت الإلهي على الأرض**". (Levenson, 1985, pp32–33).

وقد تعززت هذه السردية في التقليد الحاخامي لاحقا، حيث تحول جبل صهيون إلى رمز إسكاتولوجي للخلاص والعودة، ثم إلى جزء من نبوءات آخر الزمان التي تتحدث عن عودة المسيح المخلص وبناء الهيكل الثالث، وفي التلمود والمدراش، ينظر إلى جبل الهيكل على أنه "نقطة الخلق الأولى"، أي المكان الذي بدأ الله منه خلق العالم، وهو "باب السماء" الذي تصعد منه الأدعية وتنزل منه البركة.(Schwartz, 2019, p. 91)

ولم تكن سردية جبل صهيون دينية محضة، بل أصبحت فيما بعد أداة مهمة في الخطاب الصهيوني الحديث، الذي سعى إلى ترجمة هذه الرمزية اللاهوتية إلى مشروعية سياسية، من خلال ربط السيادة على القدس بإرادة إلهية، وتصوير العودة إلى صهيون كتحقيق للوعد الإلهي التاريخي، وقد استثمرت الحركة الصهيونية هذا الرمز بقوة، فجعلت "الهيكل" و"صهيون" جوهر الخطاب القومي، وهو ما ظهر في تسمية حركات مثل "أحباء صهيون"، و"الصهيونية الدينية"، وفي الأدبيات التي تؤكد أن "لا صهيونية بدون أورشليم، ولا أورشليم بدون جبل الهيكل" (العتوم، 2012، ص 45–46) ، (Gorenberg, 2000, p53)

ومن هذا المنطلق، تعد سردية جبل صهيون تكوينا مركبا يجمع بين الأبعاد الدينية والرمزية والتاريخية، جعل منه اليهود مركزا لقداستهم وتاريخهم وهويتهم، حيث ارتبط بالمكان الذي تجلى فيه الحضور الإلهي وبني عليه الهيكل، ليغدو رمزا محوريا في الوعي الديني والقومي اليهودي. وقد تحولت هذه السردية في العصر الحديث إلى مبرر أيديولوجي لامتلاك الأرض والسيطرة على القدس، ما يجعلها من أبرز وأخطر تمظهرات تسييس الدين في الصراع العربي–الإسرائيلي، وإذ تجمع بين الرمزية الدينية والطموح القومي، تبقى سردية جبل صهيون حاضرة بقوة في الخطاب المعاصر، خصوصا في الدعوات المتطرفة لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل الثالث، باعتبار ذلك شرطا

جوهريا لتحقيق النبوءة والخلاص، الأمر الذي يعكس عمق تداخل المقدس بالسياسي في التاريخ اليهودي، وتداعياته الجيوستراتيجية الراهنة.

3.1 القدس في الوجدان اليهودي بين الأسطورة والتاريخ

تشكل القدس في الوجدان اليهودي نقطة التقاء بين الأسطورة والتاريخ، حيث تمتزج التصورات اللاهوتية بالوقائع التاريخية، ضمن بناء سردي تشكل عبر قرون من التقاليد النصية والتجربة الجماعية. ففي النصوص التوراتية، تصور القدس باعتبارها المدينة التي اختارها الرب ليجعل اسمه فيها، ومقر إقامة الحضور الإلهي (Levenson, 1985, pp. 22–24). كما اعتبرت صهيون "جبل الرب"، و"مدينة الملك العظيم"، ومركز التدبير الإلهي للعالم، وهي تصورات رسخت في المخيال الديني اليهودي صورة المدينة المثالية، التي لا تتحقق إلا في إطار مشيئة الرب.

ومع تكرار مآسي التدمير والشتات، لعبت الأسطورة الدينية دورا محوريا في تشكيل هوية جماعية قائمة على الحنين والخلاص، حيث غدت القدس قيمة روحية تتجاوز الواقع الجغرافي والسياسي. ويشير غورنبرغ (Gorenberg, 2000, pp. 49–51) إلى أن هذا الامتزاج بين الرمزي والتاريخي منح القدس مرتكزا إيمانيا في اللاهوت اليهودي، باعتبارها "المنفى الروحي" الذي لا تكتمل الهوية الدينية إلا بالعودة إليه، كما نجد في التلمود والمدراش تمجيدا دائما للمدينة، بوصفها "بوابة السماء"، و"أقرب نقطة إلى الرب" (Elon, 2007, pp. 132–133)، مما جعلها حاضرة بقوة في الطقوس اليومية، من خلال الاتجاه نحوها في الصلاة، واستحضارها في الأدعية والأناشيد.

4.1 التحولات السياسية والدينية في علاقة اليهود بالقدس.

مرت علاقة اليهود بالقدس عبر التاريخ بتحولات جوهرية، انتقلت فيها المدينة من مركز فعلي للعبادة والسلطة، إلى رمز غيبي ثم إلى مشروع قومي. فبعد تدمير الهيكل الثاني عام 70 م، فرض الرومان التهجير لليهود، وأصبح الحنين إلى القدس إشارة تعبدية في الأدب الديني والدعاء، حيث فقدت المدينة حضورها السياسي، لكنها اكتسبت مكانة متعالية في العقيدة والوجدان.(Schwartz, 2019, p. 88)

غير أن هذا الوضع تغير مع بروز الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، التي أعادت تفعيل الرمزية الدينية للقدس ضمن مشروع قومي سياسي. فقد رأى تيودور هرتزل، مؤسس الصهيونية السياسية، أن "أورشليم يجب أن تكون قلب دولة اليهود "، بينما عمل مفكرون وحاخامات على إحياء فكرة "الهيكل الثالث" كشرط للخلاص،

وكمبرر لاستعادة الأرض .(Gorenberg, 2000, pp. 45–46) ومع احتلال الجزء الشرقي من المدينة عام 1967، اكتسبت القدس مكانة استراتيجية مضاعفة، حيث أصبحت رمزا "للعودة والتحرر"، وموقعا ذا دلالة دينية–قومية في الخطاب الإسرائيلي الرسمي. (العتوم، 2012، ص 48) ؛ (Elon, 2007, pp.134–136) .

ويشير إسماعيل نائل عبد الرحمن إلى أن هذه التحولات أفضت إلى ما يمكن تسميته بـ"اللاهوت الجيوسياسي"، حيث تتداخل القداسة الدينية بالهيمنة السياسية. فالقدس لم تعد فقط مدينة تاريخية مقدسة، بل أصبحت معركة رمزية ضمن صراع الهويات والشرعيات، خصوصا في ظل صعود الحركات الدينية المتطرفة، مثل "أمناء جبل الهيكل"، التي تدعو صراحة إلى هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل، باعتباره مقدمة لنهاية الزمان وتحقيق النبوءة. (إسماعيل، 2009، ص 91)

إن النقطة المحورية في تحليل إسماعيل نائل عبد الرحمن تكمن في توضيح كيف أن القداسة الدينية أصبحت أداة للهيمنة السياسية، وكيف تحولت المدينة من مكان للعبادة والروحانية إلى رمز للشرعية السياسية والهوية الجماعية. هذا التحول ليس نظريا فقط بل له تجليات عملية، كما يشير بذكره لحركات مثل "أمناء جبل الهيكل."

كما يبرز التحليل بشكل خاص خطورة توظيف المعتقدات الأخروية (نهاية الزمان) في الصراع السياسي الراهن، حيث تتحول النبوءات الدينية إلى أجندات سياسية ذات أهداف محددة، فهذا الربط بين المقدس والسياسي يزيد من تعقيد الصراع ويجعل الحلول التقليدية القائمة على التسويات السياسية أكثر صعوبة، مما يدعونا للتفكير في كيفية التعامل مع قضايا معقدة تتداخل فيها الأبعاد الدينية والتاريخية والسياسية، وكيف يمكن إيجاد مقاربات تحترم قدسية المكان وتاريخيته دون استغلالها كأداة للصراع والهيمنة.

2. القدس في اللاهوت المسيحي

1.2 القدس في العهد الجديد.

أولا: المقاربة اللاهوتية (القدس كرمز للفداء وليس للسيطرة)

في اللاهوت المسيحي التقليدي، تحولت القدس من مدينة أرضية إلى رمز سماوي، فقد رسخ آباء الكنيسة، خصوصا القديس أوغسطين (في كتابه "مدينة الله")، فكرة أن القدس الحقيقية ليست الأرضية بل السماوية، أي "أورشليم العليا" التي ينشدها المؤمنون في الحياة الأخروية. (رؤيا يوحنا 21:2).

وهذا التحول اللاهوتي كان مهما لأسباب عدة:

- تحييد البعد السياسي للقدس بعد سقوطها على يد الرومان سنة 70م، وبالتالي تحويل النظر من المطالبة بالأرض إلى التركيز على الخلاص الفردي.

- تقديم القدس كرمز للمعاناة والتجديد الروحي، فهي مدينة الرفض والصلب، ولكنها أيضا مسرح القيامة. يقول العالم المسيحي جورج فرج في دراسته عن الرمزية اللاهوتية للقدس: " إن قداسة القدس لا تقوم على جغرافيتها بل على ما جرى فيها من أحداث الفداء، مما يجعلها تحمل طابعا أخرويا يفوق الزمان والمكان" (فرج، 2005، ص 77).

ثانيا: المقاربة السياسية المعاصرة (توظيف القدس في الصراعات)

في العصر الحديث، أعادت بعض الاتجاهات المسيحية، خاصة الإنجيلية الصهيونية في الولايات المتحدة، توظيف مركزية القدس في ضوء نبوءات العهد الجديد وسفر الرؤيا. ووفق هذه الرؤية:

- عودة اليهود إلى القدس وإعادة بناء الهيكل شرط لعودة المسيح.
- يجب أن تظل القدس تحت السيادة الإسرائيلية تمهيدا لـ"الهرمجدون" (المعركة النهائية) حسب تفسيرهم لسفر الرؤيا.

وقد نبهت الباحثة "كارن ارمسترونغ" (Karen Armstrong) إلى خطورة هذه المقاربة، حيث تقول: "استعادة الرمزية اللاهوتية للقدس من قبل بعض الجماعات المعاصرة، أخرجها من بعدها الروحي إلى أداة صراع سياسي، بما يتناقض مع رسالة المحبة والتسامح في العهد الجديد." (Armstrong, 1996, p 217)

ثالثا: موقف الكنائس التقليدية

بخلاف هذه التوجهات الأصولية، تؤكد **الكنائس التقليدية** (الكاثوليكية، الأرثوذكسية، الشرقية) على أن:

- القدس ينبغي أن تبقى مدينة للسلام وليس للحرب.
- الوجود المسيحي الفلسطيني فيها ليس فقط تاريخيا بل أيضا حاضرا، ويجب حمايته كجزء من التنوع الديني للمدينة.

وقد جاء في رسالة مجلس الكنائس العالمي حول القدس: "إن قداسة المدينة لا تبرر نفي الآخرين منها، بل تدعونا لتكون القدس مدينة السلام لجميع أبنائها من كل الديانات" . (مجلس الكنائس العالمي حول القدس ، 2000) ومنه يمكن القول إن القدس في العهد الجديد ليست فقط المكان الذي سار فيه السيد المسيح، بل إطارا لتجليات الفداء والصراع والتجدد. (خليل، 2003، ص 49) وفي المقاربات اللاهوتية القديمة، شكلت المدينة مسلكا نحو السماوي، بينما في التوظيفات المعاصرة، باتت أداة تستثمر في الصراع السياسي والديني، وهو ما يستوجب استعادة رؤية مسيحية أصيلة ترى في القدس مدينة سلام، لا ساحة نبوءة للحرب.

2.2 رحلة الآلام والصلب والقيامة في القدس.

ترتبط قداسة القدس في الوجدان المسيحي بشكل وثيق بحدثي الصلب والقيامة، اللذين يمثلان جوهر العقيدة المسيحية. فقد جرت في المدينة وقائع محاكمة المسيح أمام بيلاطس البنطي، تلاها صلبه على جبل الجلجلة ودفنه في القبر، الذي بحسب الإيمان المسيحي شهد قيامته في اليوم الثالث. هذه المواقع أصبحت محجا للمسيحيين منذ القرون الأولى، لا سيما كنيسة القيامة التي شيدت في القرن الرابع الميلادي، والتي تعد أقدس موقع مسيحي على الإطلاق. إن رمزية المدينة هنا لا تقتصر على المكان التاريخي، بل تتجاوزها لتجسد معنى الخلاص الكوني، حيث تتجدد فيها ذكرى الفداء الإلهي.(Sanders, 1995, pp. 270–274) .؛ (ربابعة، 2012، ص 112).

3.2 الكنيسة والقدس من المكان إلى الرمز

مع تطور اللاهوت المسيحي، تحولت القدس من مدينة تاريخية إلى رمز روحي يعبر عن "أورشليم السماوية"، كما ورد في سفر الرؤيا: "ثم رأيت مدينة مقدسة نازلة من السماء من عند الله" (رؤيا يوحنا 21:2). وقد شكلت هذه الرؤية أساسا لتصورات لاهوتية تعتبر القدس مثالا للكنيسة الجامعة، ومجالا لالتقاء الأرضي بالسماوي. ومع انتشار المسيحية، بدأت الكنائس تبنى في أنحائها، وتحولت المدينة إلى حاضنة للتراث الكنسي الشرقي والغربي، مما جعلها موضوعا للصراع بين الكنائس، كما في التنافس على مفاتيح كنيسة القيامة. هذه الرمزية الروحية المعقدة منحت القدس بعدا يفوق الجغرافيا، وجعلتها تحتل مكانة محورية في الروحانية المسيحية. (خليل، 2003، ص 63)؛ (Murphy-O’Connor, 2008, p84) .

4.2 القدس في الوعي المسيحي عبر التاريخ (القرون الوسطى – الحروب الصليبية – العصر الحديث)

مع تطور اللاهوت المسيحي، تحولت القدس من مدينة تاريخية إلى رمز روحي يعبر عن "أورشليم السماوية"، كما ورد في سفر الرؤيا: "ثم رأيت مدينة مقدسة نازلة من السماء من عند الله" (رؤيا يوحنا 21:2)، مما منح المدينة بعدا ميتافيزيقيا، حيث أصبحت تمثيلا للكنيسة الجامعة ومجالا لالتقاء الأرضي بالسماوي،(Murphy-O’Connor, 2008, p84). مما عزز مكانتها في المخيال المسيحي كموطن للخلاص الإلهي ومسرح للفداء .

ومع انتشار المسيحية، بدأت الكنائس تبنى في أنحائها، وتحولت المدينة إلى حاضنة للتراث الكنسي الشرقي والغربي، مما جعلها موضوعا للصراع بين الكنائس، كما في التنافس على مفاتيح كنيسة القيامة، (خليل، 2003، ص 63)، وقد منحت هذه الرمزية الروحية المعقدة القدس بعدا يفوق الجغرافيا، وجعلتها تحتل مكانة محورية في الروحانية المسيحية .

أما في العصور الوسطى، خاصة خلال الحروب الصليبية، اتخذ حضور القدس في الوعي المسيحي بعدا سياسيا ودينيا، حيث استغلت رمزية المدينة ذريعة للحروب المقدسة، ومحاولات السيطرة عليها. وفي العصر الحديث، واصلت الكنائس الغربية والشرقية السعي لإعادة تثبيت وجودها الرمزي والمادي في المدينة المقدسة، مما يؤكد أهمية القدس الروحية والتاريخية (Armstrong, 1996, p 215).

إن تلاقي هذه الأبعاد اللاهوتية مع التحولات التاريخية يوضح كيف حافظت القدس على مركزيتها في المخيال المسيحي، رغم تغير السياقات .

3. البعد المقدس للقدس في الإسلام

يهدف هذا المبحث إلى تحليل تمظهرات البعد المقدس للقدس في النصوص الإسلامية المؤسسة (القرآن الكريم والحديث الشريف)، كما يستعرض تطور هذا التقديس في الوعي الجمعي الإسلامي، من خلال الفتوحات الإسلامية، والعمارة الدينية، والتجربة التاريخية للمسلمين في المدينة، كما يسلط الضوء على استمرار هذا البعد في العصر الحديث، حيث تحولت القدس إلى رمز للمقاومة والدفاع عن الهوية الإسلامية، في مواجهة محاولات طمسها أو تهويدها.

1.3 مكانة القدس في القرآن الكريم والسنة النبوية

تحظى القدس بمكانة محورية في التصور الإسلامي، إذ اقترنت في النصوص التأسيسية – القرآن الكريم والحديث النبوي – بمفاهيم مركزية مثل البركة، والإسراء، والوحي، ووحدة الرسالات السماوية، فقد ورد ذكر المسجد الأقصى صراحة في قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: 1)

هذه الآية الكريمة لا تؤسس فقط لحدث الإسراء بوصفه معجزة نبوية، بل تمنح القدس قداسة قرآنية أصيلة، حيث توصف أرض المسجد الأقصى بأنها "مباركة"، وهي صفة لم تمنح في القرآن إلا لعدد محدود من البقاع المرتبطة بالوحي، ما يدل على تخصيص إلهي للمكان ورفع درجته (القرطبي، 2006، 204/10).

وقد أشار عدد من المفسرين إلى أن هذه البركة تشمل بركة الدين والدنيا؛ فمن جهة هي أرض الأنبياء والرسالات، ومن جهة أخرى أرض الخصب والخير (الزحيلي، 1996، ص 342). والملاحظ أن النص القرآني لم يذكر اسم "القدس" مباشرة، بل أشار إليها بـ"المسجد الأقصى"، وهي تسمية توحي ببعد روحي وجغرافي، حيث إن

"الأقصى" يحمل دلالة البعد المكاني عن المسجد الحرام، لكنه في الوقت ذاته الأقرب روحيا من حيث الرابطة النبوية.

أما في السنة النبوية، فتتكرس مكانة القدس عبر الأحاديث المتواترة التي تؤكد على فضل المسجد الأقصى. ومن أبرزها الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة، وفيه قال النبي ﷺ: **" لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"** (مسلم، 2016 ، 2/ 1015)

هذا الحديث لا يقرر فقط فضلا للمسجد الأقصى، بل يضعه ضمن مثلث القداسة الإسلامية، إلى جانب المسجد الحرام والمسجد النبوي، وهو تصنيف فريد يجعل من المسجد الأقصى معلما تعبديا ذا طابع شرعي وفضيلة مستقلة، ما دفع الفقهاء إلى اعتباره أحد المساجد التي يسن السفر إليها بنية التعبد. (العسقلاني، 2006، 66/3).

ومن اللافت أن الحديث لم يربط الفضل بالموقع الجغرافي أو السياسي، بل بالرمزية الروحية والوظيفة التعبدية، ما يعزز حضور القدس في الوجدان الإسلامي كفضاء للعبادة والتواصل الروحي مع الإرث النبوي.

من خلال هذا الحضور في القرآن والسنة، يمكن القول إن القدس تحتل موقعا خاصا في النسق الديني الإسلامي، فهي لا تمثل فقط مكانا جغرافيا، بل رمزا للعقيدة الإبراهيمية الواحدة، التي يتممها الإسلام في سياقه التوحيدي. كما أن وجود المسجد الأقصى كمحطة في الإسراء، ومعلم تعبدي في السنة، يجعل منه جزءا من الهوية الإسلامية الجامعة.

وعليه، فإن تهميش قداسة القدس أو تهويد معالمها يعد – في التصور الإسلامي – انتهاكا لمبدأ ديني ثابت، واعتداء على رمز أصيل في العقيدة والشعور الجمعي الإسلامي، بما يجعل القدس ليست فقط قضية قومية أو سياسية، بل مسؤولية شرعية وأخلاقية متجذرة في النص المقدس والوعي الإيماني للأمة.

2.3 البعد الروحي والتشريعي للإسراء والمعراج

تشكل حادثة الإسراء والمعراج ذروة رمزية في تكريس قداسة القدس في العقيدة الإسلامية، ليس فقط لكون المسجد الأقصى هو محطة الإسراء الأرضي، بل لأنه كان منصة المعراج السماوي، حيث ابتدأ العروج إلى السماوات العلى، مما يمنح القدس موقعا متميزا يربط بين الأرض والسماء، بين العالم المحسوس والعالم الغيبي.

أولا: البعد العقدي والرمزي

في سياق العقيدة الإسلامية، تمثل حادثة الإسراء والمعراج تأكيدا على وحدة النبوات، فالرسول محمد ﷺ صلى بالأنبياء جماعة في المسجد الأقصى، وهي لحظة رمزية تعني أن النبوة المحمدية لا تأتي قطيعة مع ما سبقها من رسالات، بل هي خاتمتها ومكملتها، وتعد هذه الصورة أحد أوجه الربط الرمزي بين الإسلام والديانات

الإبراهيمية الأخرى، مما يمنح المسجد الأقصى مكانة تتجاوز البعد التاريخي أو الجغرافي، ليصبح علامة روحية عابرة للأزمنة.

ويمكن القول إن اجتماع الأنبياء وصلاتهم خلف الرسول في القدس يفهم أيضا في الفكر الإسلامي بوصفه إقرارا من الشرائع السابقة بخاتمية الرسالة المحمدية، ودليلا على أن الإسلام يرث رمزية القدس من سابقيه، ويمنحها أفقا توحيديا جديدا، يتجاوز التحديد القومي أو الديني الضيق (الرازي، 1990، 219/21).

ثانيا: البعد الروحي والتشريعي

من الناحية الروحية، يشكل المعراج تجربة تعكس قدرة الله تعالى على الجمع بين الزمان والمكان في لحظة معجزة، واختيار القدس كبوابة للمعراج يمنحها دلالة خاصة: فهي الملتقى بين الأرض والسماء، بين المقدس التاريخي والمطلق الإلهي، وهذا المعنى ينعكس في الفكر الصوفي والفلسفي، حيث ترى القدس كرمز للتجاوز الروحي والانفتاح على الغيب.

أما تشريعيا، فإن حادثة الإسراء ثبت من خلالها فضيلة المسجد الأقصى باعتباره أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، كما في حديث البخاري. وهذا التصنيف يمنحه مكانة فقهية دائمة في العبادة، وليس فقط في التاريخ.

ثالثا: التفسير السياسي والرمزي لدى ابن تيمية

ذهب ابن تيمية، في إطار جدله مع بعض الطروحات المسيحية آنذاك، إلى أن حادثة الإسراء تمثل إعلانا عن سيادة الإسلام على الرموز المقدسة السابقة، بما فيها بيت المقدس، الذي كان مركزا في اليهودية والمسيحية، ومن هنا يرى ابن تيمية أن وجود النبي ﷺ في الأقصى وصلاته بالأنبياء، ثم معراجه منه، هو مظهر من مظاهر استخلاف الإسلام روحيا وتاريخيا على الديانات السابقة (ابن تيمية، 2000، ص 72).

إن هذا التحليل يكشف أن قداسة القدس في الإسلام لا تقوم على مجرد التراث الديني، بل على رؤية كونية شاملة للنبوة والرسالة، تجعل من المدينة جسرا بين العوالم، ودلالة على ترابط العقيدة والتاريخ، ولهذا فإن أي مساس بالقدس يفهم في الوعي الإسلامي ليس فقط كاعتداء على جغرافيا، بل كعدوان على ذاكرة دينية وروحية ممتدة في النصوص والهوية الدينية.

3.3 تطور علاقة المسلمين بالقدس تاريخيا

شكل دخول المسلمين القدس سنة 15هـ/636 م في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حدثا محوريا في تاريخ المدينة، ليس فقط من الناحية العسكرية، بل من حيث إعادة تشكيل علاقتها بالسلطة والرمزية الدينية، فقد جاء الفتح بعد انتصار المسلمين على البيزنطيين في معركة اليرموك، وهو ما مهد لتحرير بلاد الشام من الهيمنة الرومانية الشرقية.

غير أن طبيعة دخول المسلمين للمدينة كانت متميزة عن الأنماط العسكرية السائدة آنذاك، إذ دخل عمر القدس سلما لا عنوة، ووقع مع بطريرك المدينة، صفرونيوس، ما يعرف بـ"العهدة العمرية" (الطبري، 1997، 605/3). وتعد هذه الوثيقة من أوائل النماذج السياسية الإسلامية التي تكرس مبدأ التعايش الديني وضمان الحريات العقائدية لغير المسلمين، وخاصة للمسيحيين في القدس، ونصت العهدة على احترام أماكن العبادة المسيحية، وعدم إجبار أي مسيحي على اعتناق الإسلام، وهي بنود لم تكن مألوفة في العهود الإمبراطورية السابقة، سواء الرومانية أو الفارسية، التي غالبا ما كانت تمارس الإقصاء الديني أو التبشير القسري (الخالدي، 2010، ص 113).

بعد الفتح الإسلامي بقرابة نصف قرن، شهدت القدس تحولا آخر بالغ الأهمية، تمثل في بناء قبة الصخرة عام 72هـ/ 691م، بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ثم تلاه بناء المسجد الأقصى في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك .وهذان المعلمان لا يعدان مجرد منشآت عمرانية، بل يمثلان تجسيدا رمزيا لمكانة القدس في العقيدة الإسلامية، و"إسلاما معماريا" للمكان، إذا صح التعبير.

فقد أراد عبد الملك أن يكرس القدس كفضاء إسلامي مقدس، يعكس التفوق الرمزي للحضارة الإسلامية في مواجهة التأثيرين البيزنطي واليهودي، وقد اختار بناء قبة الصخرة فوق صخرة المعراج التي يعتقد أنها الموضع الذي عرج منه النبي محمد ﷺ إلى السماوات العلى في حادثة المعراج، وبهذا تحول المكان إلى علامة روحية ومعمارية، تمزج بين الوظيفة الدينية والهوية السياسية.(Grabar, 1996, pp. 78–79)

ويقرأ هذا التشييد أيضا ضمن سياق المنافسة السياسية بين دمشق (الخلافة الأموية)، ومكة (التي كانت تحت نفوذ عبد الله بن الزبير آنذاك)، حيث أراد عبد الملك أن يجعل من القدس مكانا روحيا ينافس مكة مؤقتا، نظرا للظروف السياسية، إلا أن هذه الرؤية لم تلبث أن اندمجت في السياق الإسلامي العام بعد زوال الفتنة.

وقد أشار عدد من المؤرخين والباحثين في تاريخ الفن والعمارة الإسلامية إلى أن عمارة القدس الإسلامية، بما في ذلك قبة الصخرة والمسجد الأقصى، تعبر عن الهوية الإسلامية للمدينة، وعن ارتباطها الوثيق بالنص القرآني والتقليد النبوي، في مقابل السرديات الدينية الأخرى التي كانت تسعى لاحتكار قداسة المكان، ففي هذا السياق، يرى "أوليغ غرابار" (Oleg Grabar) أحد أبرز مؤرخي الفن الإسلامي، أن بناء قبة الصخرة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان لم يكن مجرد مشروع معماري، بل كان إعلانا عن حضور الإسلام وسيادته في مدينة ذات

طابع ديني متعدد، كانت قبل ذلك تحت التأثيرين اليهودي والمسيحي، وهو ما فصله في كتابه The Shape of the Holy: Early Islamic Jerusalem (Grabar, 1996 , p59-67).

وفي السياق نفسه، يؤكد المؤرخ عبد الرحمن الحجي في كتابه "القدس في التاريخ،" أن العمارة الأموية في المدينة، وخصوصا بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى، تعكس بوضوح تجلي الهوية الإسلامية بعد الفتح، وتجسد روحا حضارية جمعت بين الجمال الرمزي والدلالة العقائدية، لتؤسس لمعمار يحمل رسالة دينية وحضارية متكاملة. (الحجي، 1997، ص 103)؛ (عطوان، 2006، ص 96).

كما يظهر هذا التطور في تاريخ القدس الإسلامي، من الفتح إلى التشييد، كيف أن المسلمين تعاملوا مع المدينة ليس كمجرد غنيمة عسكرية، بل كرمز ديني وجب تثبيت قدسيته وصيانته ضمن تصور حضاري جامع، فبين التسامح في الفتح والرسوخ في المعمار، برزت القدس كواحدة من المدن الثلاثة التي يشد إليها الرحال، وكحلقة واصلة في سلسلة الرسالات الإبراهيمية، كما جسدها القرآن الكريم والحديث النبوي.

4.3 القدس في الفكر الإسلامي الوسيط والحديث

مثلت القدس عبر العصور الإسلامية أحد أهم الرموز الدينية والسياسية التي استقرت في وعي المسلمين، حيث تزايد حضورها في الخطاب الديني والفقهي مع التحولات التاريخية، لا سيما خلال فترتي الاحتلال الصليبي والاستعمار الحديث.

ففي العصور الوسطى، ومع احتلال القدس من قبل الصليبيين سنة 1099م، برزت المدينة كقضية مركزية في الخطاب الجهادي الإسلامي، وتحولت إلى ميدان رمزي للمواجهة بين الإسلام والغرب، وتبلورت في تلك المرحلة نصوص فكرية وشرعية تؤطر لتحرير القدس باعتباره فريضة دينية وواجبا جماعيا، تستمد مشروعيتها من ضرورة الدفاع عن المقدسات وصيانة الهوية الإسلامية، وقد جسد ذلك صلاح الدين الأيوبي في خطاباته التي جمعت بين البعد السياسي والديني، كما رسخ فقهاء مثل ابن الجوزي وابن قدامة المقدسي هذا الوعي، مؤكدين أن الدفاع عن "المقدسات الإسلامية" ليس مجرد خيار، بل واجب ديني جماعي (الذهبي، 2001، 245/21) ؛ (الريسوني، 2000، ص 164).

هذا الربط بين الفقه السياسي ومكانة القدس استمر عبر العصور، لكنه شهد تحولا نوعيا في العصر الحديث، حيث دخلت المدينة في قلب قضايا التحرر الوطني ومواجهة الاحتلال، بدءا من الاستعمار البريطاني، وانتهاء بالاحتلال الصهيوني بعد عام 1967. وقد أعادت الحركات الإسلامية والفكر الإصلاحي توظيف مفاهيم مثل "أرض الرباط "و "المرابطة" في خطابها، حيث أصبحت القدس مثالا للممانعة الروحية والسياسية، ومنبرا للدفاع عن الكرامة الإسلامية في وجه الاستعمار.

وفي هذا الإطار، اهتم مفكرون معاصرون أمثال يوسف القرضاوي **ومحمد** عمارة بتأصيل مكانة القدس من منظور مقاصدي، معتبرين أن الحفاظ على المسجد الأقصى هو من "الكليات الضرورية" التي تحفظ الدين والكرامة والهوية، أي مما لا يسع الأمة التهاون فيه (القرضاوي، 2009، ص 41؛ عمارة، 2007، ص 74). وقد دعا هؤلاء إلى تحرير القدس ليس فقط بالسلاح، بل بالوعي الحضاري، والتربية الإيمانية، والمقاومة الفكرية والروحية، مما يعكس تطورا في الفهم الإسلامي المعاصر لقضية القدس، من مجرد قضية صراع، إلى قضية حضارية وإنسانية جامعة.

4. تقاطع المقدس واختلاف المرجعيات

يبحث هذا المبحث في أوجه الاشتراك والاختلاف بين هذه المرجعيات في بناء قداسة القدس، وتحليل أثرها في تشكيل الذاكرة الدينية والسياسية لكل ديانة، واستكشاف كيف تحول هذا التعدد الدلالي إلى عنصر توتر أو إمكانية تعايش، تبعا لسياقات التاريخ والسياسة والدين

1.4 أوجه التشابه والاشتراك في قداسة القدس.

تشترك الديانات الإبراهيمية الثلاث في النظر إلى القدس على أنها مدينة مقدسة ذات وظيفة روحية تتجاوز حدود الجغرافيا. فالقدس في اليهودية هي "مكان الهيكل" و"عاصمة داوود"، وموطن الحضور الإلهي (Levenson, 1985, p. 21). وفي المسيحية، فهي مسرح تجسد المسيح، وموقع صلبه وقيامته، مما أكسبها دلالة خلاصية مركزية في العقيدة (Armstrong, 1996, p. 139). أما في الإسلام، فقد ارتبطت القدس بالإسراء والمعراج، وبالربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، مما كرسها في الوجدان الإسلامي كجزء من معالم النبوة.

هذا الاشتراك لا يعني وحدة المعنى أو المرجعية، بل يشير إلى تقاطع رمزي يجعل من المدينة مكانا للقداسة المتعددة المصدر، فهي تقدس من الجميع، ولكن لأسباب متباينة، ما يعكس تداخل الديني بالتاريخي والأسطوري في بناء الذاكرة الدينية.

2.4 الاختلافات العقائدية والدلالية في التقديس.

تتباين المرجعيات العقدية التي يستند إليها كل دين في تعظيم القدس. في اليهودية، تستند القداسة إلى العهد الإلهي مع بني إسرائيل، وهو عهد مشروط بالأرض والهيكل، ما يجعل من القدس رمزا قوميا وإثنيا في الوجدان اليهودي (المسيري، 1999، 287/5). أما في المسيحية، فبعد تدمير الهيكل، تحول التركيز من المكان إلى الشخص، حيث أصبحت قداسة القدس قائمة على حياة المسيح وقيامته، لا على الطقوس أو الهياكل، ما أدى إلى تراجع رمزية المدينة في بعض التيارات اللاهوتية.(Crossan, 1999, p. 74)

في المقابل، يقدس الإسلام القدس باعتبارها موقعا ضمن شبكة توحيدية تشمل مكة والمدينة، دون ربطها بقومية محددة، مما يمنحها بعدا عالميا وأخلاقيا، وقد أشار ابن تيمية إلى أن الإسراء كان دليلا على سيادة الرسالة المحمدية على مقدسات الأديان السابقة.

3.4 أثر هذه النظرات في تشكيل الذاكرة الجماعية لكل دين.

تتجلى هذه النظرات المختلفة في تكوين ذاكرة جماعية دينية – سياسية، ففي اليهودية تتشكل الذاكرة حول الحنين إلى الهيكل المفقود، والانتظار الخلاصي لإعادة بنائه، ما جعل القدس تمثل محورا لـ"لاهوت العودة"، وفي المسيحية عرفت الذاكرة المسيحية تحولات، إذ ارتبطت المدينة بعقيدة الفداء أولا، ثم أعيد تفعيل مركزيتها خلال الحملات الصليبية، لتصبح رمزا للصراع الديني والسياسي باسم الخلاص أما في الإسلام، فقد حافظت القدس على مكانة ثابتة، متجلية في الاتجاه إليها في الصلاة والدعاء، وفي اعتبارها موقعا رباطيا، يتجدد حضوره مع كل أزمة سياسية، وقد عمق الاحتلال الحديث هذه الرمزية، فظهرت مفاهيم مثل "المرابطون" و"أرض الإسراء" إشارة إلى الثبات الديني والسياسي.

وهكذا تتنوع صور التقديس، لكنها تلتقي في تحويل المدينة إلى حامل للذاكرة الدينية والهوية الجماعية، مما يمنح القدس طابعا استثنائيا في الوعي الديني والسياسي عبر العصور.

4.4 القدس كرمز للتعايش أو الصراع؟

يشكل هذا التداخل بين الرمزي والعقائدي نقطة تقاطع يمكن أن تؤسس لحوار بين الأديان، كما يمكن أن تكون مصدرا دائما للصراع، فالتاريخ يقدم نماذج من التسامح كما في العهدة العمرية التي كفلت حرية العبادة لجميع الطوائف دون تمييز (الخالدي، 2010، ص 113). لكن في المقابل، يظهر الواقع المعاصر أن تسييس القداسة – خصوصا من قبل الحركة الصهيونية – جعل من القدس ساحة للصراع، لا للالتقاء. فقد حول الفكر الصهيوني القدس إلى "رمز سيادي" لا يقبل المشاركة، مما عزز منطق الإقصاء بدلا من التعايش (Chomsky, 2015, p 106).

ومع ذلك، فإن الإمكانات التفسيرية الغنية للنصوص التوحيدية، وقواسمها المشتركة، تتيح بناء فهم توافقي جديد، يعيد للقدس مكانتها كبوابة للتواصل الإنساني والديني، بدل أن تبقى رهينة لتوظيفات أيديولوجية ضيقة.

خاتمة

تشكل القدس نموذجا فريدا لتقاطع الرموز الدينية والتاريخية، حيث تتداخل في فضائها المقدس ثلاث ديانات كبرى، لكل منها روايتها اللاهوتية ومخيالها الرمزي الخاص. فالمدينة لم تكن مجرد موضع جغرافي، بل تحولت إلى معمار روحي ومرجعية عقدية تختزن طبقات متراكمة من المعاني الدينية والسياسية عبر القرون.

في اليهودية، ارتبطت القدس بعقيدة "الاختيار الإلهي" ومركزية الهيكل، مما أضفى عليها طابعا خلاصيا يستبطن الحنين والانتظار، بينما تبوأت في المسيحية موقعا مركزيا في سردية الفداء، فغدت رمزا للقداسة الأخروية، وموضعا لتجسد "أورشليم السماوية" في اللاهوت الغربي والشرقي على السواء. أما في الإسلام، فقد حضرت القدس كمكون محوري في تجربة النبوة، من خلال الإسراء والمعراج، ثم تأكدت مكانتها بعمارتها الإسلامية، وبتحولها إلى رمز للرباط والدفاع عن المقدسات.

غير أن هذا التشابك في القداسة لم يؤسس دائما لتعايش سلمي، بل كان — في كثير من اللحظات التاريخية — سببا في التوتر والصراع، حيث تسعى كل ديانة إلى تأكيد مرجعيتها على المكان، وتعيد تأويل معناه وفقا لمنظومتها العقدية. وهكذا، تتحول القدس من مدينة للسلام، كما يوحي اسمها، إلى فضاء للمنازعة على المقدس، في مشهد يجسد بوضوح مفارقة العلاقة بين الدين والتاريخ، والروح والجغرافيا.

ومن ثم، فإن فهم القدس لا يكتمل إلا من خلال تفكيك هذه الشبكة المعقدة من الرموز الدينية، واستحضار سياقاتها اللاهوتية والتاريخية، والوعي بأن المدينة لا تنتمي إلى دين واحد بقدر ما تختزن تراثا إنسانيا مشتركا، يمكن أن يكون، إذا أعيد تأويله ضمن أفق حواري، مدخلا لإمكان التعايش بدلا من الصدام.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية

- إبراهيم، إسماعيل، (2009)، مكانة القدس في الإسلام، دمشق: دار الفكر.
- ابن تيمية، الرد على الأخنائي في مسألة شد الرحال، تحقيق: ناصر العقل، الرياض: دار العاصمة.
- إسماعيل، نائل عبد الرحمن، (2009)، جذور الفكر الديني اليهودي وأثره في المشروع الصهيوني، عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط.
- البستاني، أنطوان. (2001)، القدس في المسيحية: من التاريخ إلى الرمزية، بيروت: دار النهار.
- الحجي، عبد الرحمن، (1997)، القدس في التاريخ، بيروت: دار القلم.
- خليل، عيسى. (2003)، القدس في الفكر المسيحي .عمان: دار الأهلية.
- الذهبي، شمس الدين، (2001)، سير أعلام النبلاء ،تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الرازي، فخر الدين، (1990)، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ربابعة، عيسى، (2012)، القدس في الكتاب المقدس، عمان: دار الكنوز.
- الريسوني، أحمد، (2000)، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الزحيلي، وهبة، (1996)، التفسير المنير ، دمشق: دار الفكر.
- السعدي، فاضل، (2004)، القدس في الفكر الديني اليهودي والمسيحي والإسلامي، بيروت: دار الزهراء.
- الطبري، محمد بن جرير، (1997)، تاريخ الأمم والملوك ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- العتوم، منذر، (2012)، القدس في العقيدة الصهيونية: دراسة في الخلفية الدينية والأسطورية، عمان: دار الشروق.
- العسقلاني، ابن حجر، (2006)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.
- عطوان، حسين، (2006)، القدس في عيون المسلمين عبر التاريخ ، القاهرة: دار الفكر العربي.
- عمارة، محمد، (2007)، القدس الشريف في الدين والتاريخ والأساطير، القاهرة: دار الشروق.
- عمارة، محمد، (2007)، القدس بين الحق الإسلامي والمزاعم الصهيونية، القاهرة: دار الشروق.
- القرضاوي، يوسف. (2009)، القدس قضية كل مسلم ، القاهرة: مكتبة وهبة.
- القرطبي، أبو عبد الله، (2006)، الجامع لأحكام القرآن ،بيروت: دار الكتب العلمية.
- القشيري، مسلم بن الحجاج، (2016)، صحيح مسلم، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.
- المجلس الكنائس العالمي، (2000)، البيان الرسمي حول القدس، جنيف.

- المسيري، عبد الوهاب، (1999)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة: دار الشروق.
- هلال، فادي، (2015)، لاهوت الأرض المقدسة: دراسة في فكر الكنيسة والقدس، بيروت: المركز الثقافي المسيحي.
- هلال، محمد، (2015)، القدس في الوعي المسيحي: بين القداسة والصراع، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

ثانيا: المراجع الأجنبية

- Armstrong, K. (1996). Jerusalem: One city, three faiths. Ballantine Books.
- Elon, A. (2007). Jerusalem: City of mirrors. New York: Henry Holt and Company.
- Gorenberg, G. (2000). The end of days: Fundamentalism and the struggle for the Temple Mount. Oxford University Press.
- Grabar, O. (1996). The shape of the holy: Early Islamic Jerusalem. Princeton University Press.
- Levenson, J. D. (1985). Sinai and Zion: An entry into the Jewish Bible. Harper & Row.
- Murphy-O'Connor, J. (2008). The Holy Land: An Oxford archaeological guide from earliest times to 1700. Oxford University Press.
- Schwartz, S. (2019). Sacred space in Jewish thought: From the Temple to the text. Brill.